الفصل الحادى عشر

نجيب - ناصر

قامت الثورة ، وتولى رياسة الجمهورية فيها - لأول مرة - اللواء محمد نجيب ، ومنذ أول يوم من قيام الثورة كان العقل المدبِّر فيها هو البكباشى جمال عبد الناصر ، وهو المرشح الحقيقى لرياسة الجمهورية ، لكن تولية محمد نجيب كانت خطة مرحلية كما ظهر فيما بعد .

لم يطل المقام بـ « محمد نجيب » فى رياسة الجمهورية ، حتى آلت الأمور إلى جمال عبد الناصر . والذى يهمنا من فترة رياسته للجمهورية فى هذا العرض السريع هو أبرز ما تحقق على يديه من أهداف لأعداء الإسلام :

حيناً للصليبية العالَمية ، وآخر للإلحاد العالمى (الشيوعية) .

* *

● إلغاء الأحزاب إلا جماعة « الإخوان المسلمون » :

ألغت الثورة جميع الأحزاب السياسية عام ١٩٥٣ وكان فى هذه الخطوة تمهيد للانفراد بالرأى والإدارة والحكم ، والأحزاب السياسية ليست شراً خالصاً ، ولا خيراً خالصاً . ومن إيجابياتها الكشف عن عيوب « الحكّام » ونقدها . وهذا ما لم تكن الثورة على استعداد له . ومع حل جميع الأحزاب ظلت جماعة « الإخوان المسلمون » تعمل فى الساحة ، ولم يشملها قرار حل الأحزاب ، لأن المساس بجماعة الإخوان كان يتطلب تمهيداً عميقاً وواسعاً على المستوى الإعلامى والمستوى العملى معاً .

وكان الإخوان المسلمون فى الخمسينات يقومون بنشاط إسلامى - سلمى - واسع النطاق ، من خلال المركز العام للإخوان المسلمين ومركز الأخوات المسلمات ، ثم صحيفة « الدعوة » التى كانت تصدر عن الجماعة . ثم ذلك النظام الذى عُرف بنظام « الشُعَب » - جمع « شُعْبة » بضم الشين وسكون العين - إذ كان فى كل حى من أحياء القاهرة شُعْبة ، وكذلك فى عواصم المحافظات (المديريات) وكانت تلك الشُعَب تنهض بمسئولية الدعوة إلى الإسلام عملياً ونظرياً ، ولها عناية خاصة بالنشء والشباب . تربيةً وتعليماً . وكان هذا النشاط الإسلامى مراقَباً - بالطبع - من الداخل والخارج معاً وغير مرضى عنه كذلك . وكان طلاَّب الأزهر - معاهد وكليات - جنوداً مخلصين أوفياء فى نظام الجماعة . سواء مَن كان منهم مسجَّلاً فى سجلات الجماعة أو غير مسجَّل ، فقد كانوا - جميعاً - إخوانى الاتجاه . وكنا نشاهد الطلاَّب الأكبر منا سناً ، والأعلى منا تحصيلاً للعلم ، كنا كثيراً ما نشاهدهم يرفعون المصحف بأيديهم ويهتفون : « لن يحكمنا إلا هذا » - يعنى : القرآن - ثم يخرجون فى مظاهرات سلمية لإعلان رأيهم ، وعقب إحدى المظاهرات فوجئنا بفصل واحد وتسعين طالباً من معهدى القاهرة الابتدائى - الإعدادى الآن - والثانوى ، تأديباً لهم وزجراً لغيرهم حتى لا يعودوا يقولون : « لن يحكمنا إلا هذا » ، وظل أولئك الطلاَّب مشرَّدين لمدة ثلاث سنوات ؟!

ومكافحة لمثل هذه المظاهرات أنشئت « نقطة شُرطة » أمام إدارة الأزهر الحالية ، ملاصقة لحرم الجامعة ، لتتصدى لأية مظاهرة تخرج من الجامعة ، وتمنعها من الوصول إلى وسط البلد - ميدان العتبة - وتقضى عليها فى مهدها (؟) .

هذا هو الطابع العام لحركة الدعوة الإسلامية فى مصر بقيادة جماعة الإخوان المسلمين فى أوائل الخمسينات . وفى هذه الأثناء كان التمهيد الإعلامى لضرب الإخوان قائماً على أشده ، وقد أسهم فيه محمد أنور السادات بنصيب وافر فى « الجمهورية جريدة الشعب » كما كانت تسمى عند صدورها بعد توقف الصحف

الحزبية المنحلة . وكان السادات قد دأب على نشر مقالات مطوّلة فى تشويه سمعة الإخوان المسلمين . وأذكر - الآن - أن « مانشتاً » ضخماً صدر على الصفحة الأولى من « الجمهورية » بالبنط الأحمر ، يقول : « الهضيبى يريد الحكم ؟! وما الدين إلا وسيلة » .

وكان المستشار حسن الهضيبى مرشداً عاماً للإخوان المسلمين فى ذلك الوقت .

* *

● **حادث المنشية :**

ثم كان التمهيد العملى المباشر لضرب الجماعة ، بافتعال حادث المنشية ، وهو الحادث الذى أشيع فيه أن عضواً من الجماعة - « محمود عبد اللطيف » - حاول اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر وهو يلقى خطاباً عاماً فى ميدان المنشية بمدينة الإسكندرية ، وهكذا أفسح المجال أمام الثورة للتنكيل بالإخوان المسلمين والقضاء على حركتهم ، وهذا هو المطلوب ، وقامت القيامة على جماعة الإخوان ، المخابرات تضع الخطط ، والشُرطة تتعقب ، والمعتقلات تستقبل ، والساسة يشنعون ، والصحافة ووسائل الإعلام تُحذِّر وتُنذر ، وتُصوِّر حركة الجماعة بأنها حركة إرهابية دموية ، وأن أعضاء الجماعة مصابون بهوس دينى ، وأن الجماعة تخطط وتُعِد لحرب إبادة ضد الشعب ، أمام هذه العوامل سهل على الثورة أن :

* تصدر قراراً بحل جماعة الإخوان المسلمين .

* تعقد لهم محاكمات صورية .

* تعدم شنقاً مَن شاءت من قياداتهم مثل : الشهيد عبد القادر عودة ، والشهيد يوسف طلعت ، والشيخ محمد فرغلى ، والشهيد إبراهيم الطيب ، والشهيد هنداوى دوير .

* الزج بأكثر من عشرين ألفاً من الجماعة فى المعتقلات بعد محاكمات صبيانية مضحكة ، فقد كان جمال سالم يطلب من بعض الأعضاء أن يقرأوا الفاتحة بالمقلوب . وطبعاً هذا تحريف خطير للقرآن ما كان لعضو من الإخوان أن يقوم به ، فكان جمال سالم رئيس المحكمة يشنع عليهم ويقول : « موش عارفين يقرأوا الفاتحة بالمقلوب » ؟!

* تعذيب المعتقلين أشد ما يكون التعذيب ، وكثير منهم خرج من المعتقل وهو ذو عاهة مستديمة جسيمة .

* وقف كل نشاط للإخوان المسلمين ، وإغلاق مراكزهم العامة والشُعَب الخاصة بالأحياء . ووأدت الثورة اتجاهاً إسلامياً فى مصر لو قُدِّر له أن يستمر لغيَّر وجه التاريخ . كانت مصر فعلاً هى الخاسرة ، أما الكاسب الحقيقى فكان أعداء الإسلام من الصليبية العالَمية ، والصهيونية العالَمية ، والإلحاد العالَمى .

* *

● مثال صغير ولكنه ذو دلالة :

فى عام ١٩٥٤ كنت أقيم - وأنا طالب فى معهد القاهرة الأزهرى - فى المنزل رقم (٩) فى شارع إدريس راغب بحى الظاهر ، وكان يهودى اسمه « ناشد » يدير محلاً للبقالة فى نفس العمارة ، وقد خرجتُ مبكراً فى الصباح لشراء بعض « الحاجيات » منه فأبصرت مشهداً عنده لم أره من قبل . جماعة من اليهود القاطنين فى الحى متجمعون عنده ، وأحدهم ممسك بجريدة الأهرام يقرأها والباقون يسمعون ، وقد علا البِشْر وجوههم وهم يتضاحكون من الأعماق . فأردتَ أن أعرف السر وراء هذه الظاهرة . فأسرعتُ نحو بائع صحف وأخذتُ منه « الأهرام » .. ثم علمتُ بكل شئ كان وراء تجمع اليهود وسرورهم . إن الصحف يومها أعلنت عن شن حملة اعتقالات واسعة ضد جماعة الإخوان ، وأن عمليات « الضبط والإحضار » وتعقب أعضاء الجماعة قائم على أوسع نطاق .. هذا المثال الصغير ذو دلالة عميقة : مؤداها أن أعداء الإسلام هم فعلاً المستفيدون مما صنعته الثورة بالإخوان وحركتهم ، وإذا كان ما رويته عن « البقال اليهودى » ورفاقه فيه هذه الدلالة فما بالك بما كان قد أحس به القادة والساسة الكبار فى أروقة المعسكرات الثلاثة المعادية للإسلام فى غرب العالَم وشرقه ؟!

* *

● الضربة الثانية :

كانت الضربة الأولى للإخوان عام ١٩٥٤ وما تزال مراسم الخطوبة بين الثورة والإدارة الأمريكية قائمة . وفى عام ١٩٦٥ كان كل شئ بين الثورة وأمريكا قد تغيَّر ، ونشأت تلك العلاقات الوطيدة بين روسيا وبعض الدول الشيوعية مثل يوجوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا من جهة ، وبين الثورة فى مصر من جهة أخرى . وتقدَّمت الثورة - مرة أخرى - بضرب جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٦٥ قرباناً للمعسكر الشيوعى كما ضربتهم من قبل قرباناً للمعسكر الصليبى الغربى الرأسمالى .

وكان الإخوان المسلمين قد التقطوا أنفاسهم بقيادة الشهيد سيد قطب بعد ضربة ١٩٥٤ وتابعت مباحث أمن الدولة نشاطهم ورفعت التقارير عنهم للرئيس جمال عبد الناصر ، وقبيل شن حملة الاعتقالات على الإخوان عام ١٩٦٥ نشرت الصحف ملخصات لحديث أدلى به الرئيس جمال عبد الناصر فى معسكرات الشباب الاشتراكى (الشيوعى) فى مدينة حلوان ، وكان مما جاء فيه أن الإخوان أعادوا نشاطهم من جديد ، وأنهم منظمون أكثر وأكثر من تنظيمات الاتحاد الاشتراكى ثم سافر الرئيس جمال عبد الناصر إلى روسيا فى صيف ١٩٦٥ وفى نفس الوقت كان قد أمر بشن حملة الاعتقالات على الإخوان فى شبه سرية . ولم يعلن عن الحملة إلا فى خطاب ألقاه الرئيس عبد الناصر فى مؤتمر للشباب العربى فى روسيا ، وكان مما قال فيه : إنه لن يسمح لجماعة الإخوان بالظهور مرة أخرى (؟!) وللمرء أن يتساءل لماذا تم الإعلان عن الحملة على لسان رئيس الجمهورية فى روسيا على خلاف ما جرت العادة ؟

ليس لهذا إلا تفسير واحد : إن الروس هم وراء هذه الضربة وأن الرئيس أحب أن يعلن نبأ الحملة هناك تكريماً لقادة الكرملين وتعبيراً عن عظيم ثقتهم فيه وثقته فيهم ، وبمجرد الإعلان عن الحملة هناك عادت الصحف المصرية تنهش فى لحوم الإخوان ، وتنهل من دمائهم : خونة - إرهابيون - هوس دينى - دمويون ؟!

كما قام التليفزيون بحملة دعائية واسعة النطاق كان يقدمها لكل بيت كل مساء . واكتظت المعتقلات بشباب الإخوان وكهولهم . وأعدم الشهيد سيد قطب عام ١٩٦٦ فى هدوء وأعلنت الصحف خبر إعدامه فيما لا يزيد عن أربعة أسطر ، وجُمِعَت مؤلفاته من الأسواق وأُعْدِمت مثل إعدامه ومنها تفسيره « فى ظلال القرآن » .. فعلت الثورة هذه الفعلة الشنيعة وهى تعتقد أنها قضت تماماً على رموز الدعوة للإسلام فى مصر ، وأنها اقتلعت الإسلام من قلوب الشباب كما فعل « أتاتورك » فى تركيا من قبل .

* *

● خصوم الإسلام يتكلمون :

حين قامت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل بالعدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ رداً على تأميم جمال عبد الناصر لقناة السويس بسبب أزمة تمويل السد العالى . بهذه المناسبة كتبت إحدى الصحف الإنجليزية تقول :

« لقد أيدنا جمال عبد الناصر حين قام بحركته عام ١٩٥٢ على أساس أنه « أتاتورك » جديد قوى ، ليحارب الشيوعية برفع مستوى المعيشة ، ويقر السلام فى الشرق الأوسط بالصلح مع إسرائيل . ولكنه اختار الحرب على السلام ، ونحن مستاءون من أجل ذلك ، ولكن ينبغى أن لا ننسى أنه هو الذى سحق الإخوان المسلمين » (؟!) .

هذا كان عقب ضربة ١٩٥٤ .. أما عقب ضربة ١٩٦٥ بثلاث سنين فقد قالت « أنديرا غاندى » فى حديث صحفى لإحدى المجلات الأمريكية : « إننا نحب جمال عبد الناصر ، ونؤيده ؛ لأنه قضى على الإخوان المسلمين المتعصبين » (؟!) .

هكذا كان ينظر أعداء الإسلام لتحركات جمال عبد الناصر . أن الرجل - عندهم - له سيئات . ولكن سيئاته كلها عندهم مغفورة لأن له حسنة واحدة -

عندهم - تزن ، بل تفوق كل أخطائه وسيئاته فى جانبهم تلك الحسنة هى : قضاؤه على الإخوان ؟ ولماذا ؟ لأنهم مسلمون ؟ والإسلام هو العدو اللدود لقُوَى الباطل . وعبد الناصر إن لم يكن كما كانوا يريدون ، أتاتوركاً كاملاً ، فهو على الأقل : نصف أتاتورك . ألم نقل من قبل : إن الكاسب الوحيد من ضرب جماعة الإخوان هم أعداد الإسلام وحدهم . وأن الخاسر هو مصر ؟!

* * *